

تفسير البحر المحيط

@ 292 رسول الله صلى الله عليه وسلم) : (أسلم) . فقال : أجدني كارهاً . . .
واختلف أهل العلم في هذه الآية : أهي منسوخة ؟ أم ليست بمنسوخة ؟ ف قيل : هي منسوخة ،
وهي من آيات المواعدة التي نسختها آية السيف ، وقال قتادة ، والضحاك : هي محكمة خاصة
في أهل الكتاب الذين يبذلون الجزية ، قالوا : أمر بقتال أهل الأوثان لا يقبل منهم إلاَّ
الإسلام أو السيف ، ثم أمر فيمن سواهم أن يقبل الجزية . ومذهب مالك : أن الجزية تقبل من
كل كافر سوى قريش ، فتكون الآية خاصة فيمن أعطى الجزية من الناس كلهم ، غ لا يقف ذلك على
أهل الكتاب . وقال الكلبي : لا إكراه بعد إسلام العرب ، ويقبل الجزية . وقال الزجاج : لا
تنسبوا إلى الكراهة من أسلم مكرهاً ، يقال : أكفره نسبه إلى الكفر . قال الشاعر : %
وطائفة قد أكفروني بحبهم % .
وطائفة قالوا : مسيء ومذنب .
%) .

وقيل : لا يكره على الإسلام من خرج إلى غيره . وقال أبو مسلم ، والقفال : معناه أنه ما
بني تعالى أمر الإيمان على الإيجاب والقسر ، وإنما بناه على التمكن والاختيار ، ويدل على
هذا المعنى أنه لما بين دلائل التوحيد بياناً شافياً ، قال بعد ذلك : لم يبق عذر في
الكفر إلاَّ أن يقسر على الإيمان ويجبر عليه ، وهذا ما لا يجوز في دار الدنيا التي هي دار
الابتلاء ، إذ في القهر والإكراه على الدين بطلان معنى الابتلاء . ويؤكد هذا قوله بعد : {
قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ } يعني : ظهرت الدلائل ووضحت البيئات ، ولم يبق
بعدها إلاَّ طريق القسر والإلجاء وليس بجائز لأنه ينافي التكليف ، وهذا الذي قاله أبو
مسلم والقفال لائق بأصول المعتزلة ، ولذلك قال الزمخشري : لم يجرأ أمر الإيمان على
الإيجاب والقسر ، ولكن على التمكين والاختيار ، ونحوه قوله : { وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ
لَأَمَنَّ مَن فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْفِرُهُ الذَّاسَ حَتَّى
يَكُونُوا مٌؤْمِنِينَ } أي : لو شاء لقسرهم على الإيمان ، ولكنه لم يفعل ، وبنى الأمر
على الاختيار . .

والدين هنا ملة الإسلام واعتقاده ، والألف واللام للعهد ، وقيل : بدل من الإضافة أي : في
دين الله . .

{ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ } أي : استبان الإيمان من الكفر ، وهذا يبين
أن الدين هو معتقد الإسلام . .

وقرأ الجمهور : الرشد ، على وزن القفل ، والحسن : الرشد ، على وزن العنق وأبو عبد الرحمن : الرشد ، على وزن الجبل ، ورويت هذه أيضاً عن الشعبي ، والحسن ومجاهد . وحكى ابن عطية عن أبي عبد الرحمن : الرشاد ، بالألف . .
والجمهور على إدغام دال ، قد ، في : تاء ، تبين . وقرء شاذاً بالإظهار ، وتبين الرشد ، بنصب الأدلة الواضحة وبعثة الرسول الداعي إلى الإيمان ، وهذه الجملة كأنها كالعلة لانتفاء الإكراه في الدين ، لأن وضوح الرشد واستبانته تحمل على الدخول في الدين طوعاً من غير إكراه ، ولا موضع لها من الإعراب . .

{ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنَ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ } الطاغوت : الشيطان . قاله عمر ، ومجاهد ، والشعبي ، والضحاك ، وقتادة ، والسدي . أو : الساحر ، قاله ابن سيرين ، وأبو العالية . أو : الكاهن ، قاله جابر ، وابن جبير ، ورفيع ، وابن جريح . أو : ما عبد من دون الله ممن يرضى ذلك : كفرعون ، ونمرود ، قاله الطبري . أو : الأصنام ، قاله بعضهم . .
وينبغي أن تجعل هذه الأقوال كلها تمثيلاً ، لأن الطاغوت محصور في كل واحد منها . .
قال ابن عطية وقدّم ذكر الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله ليظهر الاهتمام بوجوب الكفر بالطاغوت . إنتهى . .

وناسب ذلك أيضاً اتصاله بلفظ الغي ، ولأن الكفر بالطاغوت متقدّم على الإيمان بالله ، لأن الكفر بها هو رفضها ، ورفض عبادتها ، ولم يكتف بالجملة الأولى لأنها لا تستلزم الجملة الثانية ، إذ قد يرفض عبادتها ولا يؤمن بالله ، لكن الإيمان يستلزم الكفر بالطاغوت ، ولكنه نبه بذكر الكفر بالطاغوت على